سوء تفاهم

مسرحية كوميديّة

عادل إبراهيم علي

شخوص النص

الصاحب: سيّد البيت، رجل غريب الأطوار محبّ للسفر.

الصديق: صديق الصاحب، رجل منافق ثرثار.

الخادم: خادم الصاحب، رجل كسول ماكر.

المرأة: امرأة مجنونة تبحث عن زوجها.

الغريب: رجل غريب محبّ للسفر يفقد بيته وزوجته.

أصوات لا يعرف مصدرها

الموجة الأولى:

(غرفة عادية؛ سرير على اليمين، وبعض الكراسي على اليسار.

يدخل رجلان عليهما هيئة السفر)

الرجل الأول: الآن وقد قرّ القرار، آتنا أيها الصديق بغدائنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا..

الصديق: أعتقد أنّه علينا أولا أن نرتاح قليلا يا صاحبي فالتعب قد هدّنا (يجلس)

الصاحب: جلست؟! وها أنا أيضا أستلقي على سرير منزلي ذاته.

هذا السرير الذي اشتقت إليه كثيرا بقدر الأيام التي عشتها بعيدًا عنه..

الصديق: (يقوم، يرقص ويغني) اشتقت إليك فعلّمني ألّا أشتاق..

الصاحب: ألم تقل أنّك متعب؟ ما بالك إذن ترقص وتغني كالنشوان؟

الصديق: تستكثر عليَّ ذلك أيها الكسول الخامل.

الصاحب: أنا كسول؟ أنا خامل؟! تبّا لك

الصديق: ها قد جلست! أتريدني أن أنام أيضًا أم أنّك تكتفي بجو الصمت بيننا كجوّ المقابر حتى يتسنى لك النوم والراحة!!

الصاحب: أغاضب أنت؟

الصديق: ...

الصاحب: هيّا لا تعقد الأمور، امرح كما تشاء فأنت سيّد البيت أيضا

الصديق: لست سيّد البيت

الصاحب: تقول ذلك لأنّك غاضب؟

الصديق: لا، أقولها إحقاقًا للحقّ وكفى!

الصاحب: لكنّك طالما تقبّلت الكلمة مني بسرور..

الصديق: ربما كنت رجلا منافقا في الماضي!!

الصاحب: لا يا صديقي لا، لابد أنك غاضب..

الصديق: قلت لست غاضبا..

الصاحب: هيّا اعترف حتى يتسنّى لنا معالجة المشكل، وإلّا كبر وعسر حلّه..

الصديق: حسنا، إنّي غاضب. أيرضيك ذلك الآن؟

الصاحب: الحق أنّه لا يرضيني. لكنّه في نفس الوقت لا يعنيني..

ما دخلي بك إن كنت غاضبا أم لا؟ والآن افعل ما يحلو لك

لكن لا تكثر الضوضاء حولي، لأنّي سأخلد لنوم عميق، عميق، بُفْ..

الصديق: صديق.. صديق..

الصاحب: ماذا هناك أيضًا؟

الصديق: ألا ترغب بالغداء؟

الصاحب: لا أريد غداءً ولا عشاءً. لا أريد طعامًا بتاتًا. أريد فقط أن أنام..

الصديق: غريب، رغم أنّك طلبت الطعام قبل قليل..

الصاحب: كان ذلك قبل قليل، أمّا الآن فقد تغيرت رغباتي..

الصديق: غريب، أتراه قد أزعجك رفضي تلبية طلبك؟ إنّما أنا أردت أن ترتاح..

الصاحب: وها أنا أرتاح، والآن هلّا عنّ لك الصمت..

الصديق: ليس قبل أن تأكل شيئًا إنك جائع منذ الصباح..

الصاحب: لا أريد..

الصديق: ولكنّي أريد أن تشاركني طعامي إذْ ليس من عادتي أن آكل وحدي..

الصاحب: كل وحدك أو فلتأكل مع الشيطان. ما دخلي بك..

الصديق: تقول ذلك لتهيننني، الآن أرحل وأترك لك المكان بما فيه

(ينطلق خارجًا فيعترض طريقه الخادم)

الصديق: مالك أيّها الخادم؟

الخدم: تنحّى عن طريقي

الصديق: ما حاجتك؟

الخادم: حاجتي؟! حاجتي عند سيدي، فما دخلك أنت بالأمر؟

الصديق: حتى أنت تهيننني، إذن هناك خطة مبيّته بينك وبين سيّدك،

أفهم كل ذلك.. أفهمه وأعيه جيّدا..

(يتجاوزه الخادم) هاي! أيّها الخادم ما حاجتك عنده؟

الخادم: هذا أمر سريّ.. لكن لأنّه أمر جميل سأخبرك به.

في الحقيقة.. في الواقع..

الصديق: تكلّم..

الخادم: هناك سيدة تطلب لقاء سيّدي..

الصديق: سيدة؟ تقول سيدة؟! يا للكارثة

الخادم: حلّت برأسك. يا لك من حسود جاحد..

الصديق: تراها تكون هي؟

الخادم: من تعني؟ آه! ألهيتني يجب أن أعلم سيدي..

الصديق: لن يكترث بما تقول، انصرف أفضل لك وإلّا حلّت عليك شتائم ولعنات

الخادم: ومن أجل ماذا كل ذلك؟

الصديق: لأجل سببين؛ أوّلهما هو أنّ سيّدك ينام بعد تعب شديد،

وقد رفض أن يتناول طعامه لأجل الراحة.

فكيف إذن إذا كان الأمر من أجل لقاء سيّدة؟

الخادم: لكنّها سيدة جميلة؟

الصديق: وإن يكن؟ هل نسيت؟ سيّدك لا يحبّ لقاء النساء

الخادم: آه! بالفعل كيف ضاعت عني هذه؟! هل تنصحني بالعودة؟

الصديق: كلّا بل اذهب وأخبره

الخادم: أيّها الشرير تريد لسيدي أن يغضب؟

الصديق: وإذا لم تعلمه غضب أيضًا؟

الخادم: يا لهذا المأزق!!

الصديق: الأفضل لك أن تصرف السيدة وسأكتم أنا أمرك، طبعًا بعد أن ترشيني!

الصاحب: من هذا الذي يجرؤ على ذكر اسم الرشوة اللعين في بيتي الطاهر؟!

الخادم: أهلا وسهلا بك يا سيدي، هنيئا لنا بلقاك بعد هذه الغيبة الطويلة عنا..

الصاحب: لن أرد تحيّتك حتى أفهم، هيا لا تلهني وقلّي الآن دون مراوغة؛
لماذا ذكرتما اسم الرشوة اللعين؟

الصديق: أنا أقول لك يا صاحبي؛ لقد عرض عليّ خادمك رشوة..

الصاحب: يا لك من لعين أيّها الخادم أتحبّ أن تُطرد؟

الخادم: كلا يا سيدي إنه كاذب..

الصاحب: كيف تجرؤ على نعت رجل مثله بالكذب؟!
هيّا اعترف، لماذا عرضت عليه الرشوة؟

الصديق: لأنّه يا صاحبي أراد أن يخفي عنك أمرا.

الصاحب: أمر؟! أيّ أمر؟

الصديق: أمر سيدة بالباب تطلب لقاك..

الصاحب: سيّدة؟! ولماذا تريد لقائي؟ منذ عشرين عاما لم أعرف امرأة..
ما سرّ هذه السيّدة؟!

الخادم: هل تريد حضرتك أن تلقاها؟

الصّاحب: لا، لا.. أعني نعم.. حسنا لا أدري!! لكن لا بأس، انصرفا وأدخلاها..
(ينطلق الخادم والصّديق إلى الخارج، غير أنّهما يتوقّفان فجأة على وقع كلام الصّاحب)

الصّاحب: بل انتظرا.. أيّها الخادم، نظّف المكان أوّلا.. نظّفه وعطّره!
هل يبدو هندامي متناسقا؟ هل مظهري لائق على أيّة حال؟!

الصّديق: أجل يا صاحبي.. تبدو في أحسن حال،
وعلى قدر مناسب من الهيبة والجمال!!

الخادم: (وهو ينظّف المكان ويرتّبه سريعا) ثمّ يدّعي أنّه لا يحبّ لقاء النّساء!
يا لهؤلاء السّادة من منافقين!!

الصاحب: إذن شكرا! أعني هيّا انصرفا وأدخلاها

الصديق والخادم: (بصوت واحد) انصرفنا!!

(يغادران الركح سريعا.. تظهر امرأة غريبة اللّباس، حيث تشي ملابسها بالصلة بملابس القرون الوسطى)

السيّدة: (منحنية في حضرته احتراما) احترامي وترحيبي ونشوتي بلقائك أيّها السيّد الكريم!!

الصاحب: مرحبا أيّها السيّدة، هل لي أن أعرف حاجتك؟

السيّدة: يا للتّبجّح! تسألني حاجتي هكذا سريعا كأنّي متسوّلة؟!! ألا تأذن لي في الجلوس؟ ألا تجلب لحضرتي قهوة؟!

الصاحب: آه! فعلا.. تقبّلي اعتذاري، إنّي ألتمس منك مسامحتي، فمنذ سنوات مديدة عديدة لم أتشرّف بمحادثة امرأة !! تفضّلي يا سيّدتي بالجلوس على الرّحب والسّعة.. (ثم مناديا) أيّها الخادم، أيّها الكسول..

(يظهر الخادم)

الخادم: هل من خطب سيدي؟

الصاحب: قهوة للمدام

الخادم: نعم سيدي لكن..

الصاحب: لكن ماذا أيها الخادم؟

الخادم: ليس بالبيت بنّ ولا سكّر

الصاحب: كيف؟ أكنت تأكلهما؟

الخادم: لا يا سيدي، لكنّك غبت عنا فترة طويلة، وكان الناس يتوافدون للسؤال عنك، فكنت أشغل حيرتهم بتقديم القهوة

السيدة: إذن لا داعي أيّها السيّد

الصاحب: تقولين ذلك حتى يتسنى لك أن تذمّي كرامتي وشرفي حالما تخرجين.. أعرف جيّدا ما يخطر ببال النساء، إنّ فكرهنّ كفكر الشياطين..

هيا أيّها الخادم ائتنا بقهوة من الخارج..

الخادم: حالا سيدي.. (يخرج)

الصاحب: والآن اعرضي أيّتها السيّدة حاجتك

السيدة: في الحقيقة أيّها السيد أنا..

الصاحب: أنت ماذا؟ لا تخجلي.. قولي ما بك ولا تخشي ازدرائي للنساء، فأنا أتعاطف معهنّ أحيانا حسب الحالة

السيدة: أنا امرأة معلّقة

الصاحب: امرأة معلّقة؟ بين السماء والأرض؟

السيدة: أرجوك أيّها السيّد لا تهزأ بي.. حاجتي ما حاجتي؟

الصاحب: (ضجرا) هيّا اعرضي حاجتك لي أعمال كثيرة غير اللغو معك

السيدة: أعتقد أنّك أسأت إليّ ومع ذلك لا بأس ما دامت حاجتي عندك. كان لي زوج ركب البحر وجال العالم. وأثناء هذا التجوال تعرّف إليّ وجمع الحبّ بين قلبينا فتزوجنا، وعدت معه إلى بلده. أعني هذا البلد..

الصاحب: كلام جميل ولطيف. لكن ما دخلي أنا بهذه القصّة التي تعرضينها على مسامعي؟

السيدة: يبدو كلامك منطقيا، لكن حبّذا لو صبرت قليلا حتى يتسنّى لك سماع بقيّة القصّة ففيها ما يعنيك..

الصاحب: ها أنا أعيرك سمعي..

السيدة: بعد ذلك عنّ لزوجي السفر فركب البحر من جديد وسافر

الصاحب: وماذا بعد؟

السيدة: لم يعد إلى الآن رغم مرور سنوات طوال

الصاحب: والمطلوب؟

السيدة: أريد أن أسأل إن كنت رأيته في سفرك أو في إحدى البلدان الغريبة؟

الصاحب: كلا كلا لم أره، وإن رأيته فإنّي لن أعرفه لأنّي أصلا لا أعرفه. والآن اسمحي لي أن أقول انتهت المقابلة!!

السيدة: آسفة إذ أقول لم تنتهِ، لن تنتهي حتى أشرب قهوة..

الصاحب: أجل معك حقّ لكن تأخّر الخادم..

(يصمتان برهة تحدّق أثناءها السيدة بالسيد طويلا مما يسبّب له الحرج)

الصاحب: (بضيق) تأخّر الخادم.. تأخّر الخادم.. أين اختفيت أيّها الخادم الملعون؟!
تعلم جيّدا أنّي لا أحتمل جلسات النساء ونظراتهّن اللعينة!!
(متوجّها بالكلام نحو السيدة) أيّتها السيدة المحترمة لماذا تنظرين إليّ
هكذا؟ إنّ هذا يزعجني...
(السيدة لا تردّ ولا تكفّ عن النظر إليه)

الصاحب: لماذا لا تردين؟ لماذا لا تكفين عنّي نظراتك الحارقة؟ هذا غير محتمل...

السيدة: (قائمة من مجلسها ومدققة النظر فيه) يا ربّي! كيف لم أنتبه؟!

الصاحب: (باضطراب) لم تنتبهي لأيّ شيء؟

السيدة: (في ابتهاج) زوجي!!

الصاحب: ما به؟

السيدة: الملامح، العينان، الشفتان، القامة، كلّ شيء... كلّ شيء...

الصاحب: هل غبت عن النساء طويلا حتى لم أعد قادرا على فهمهنّ؟

السيدة: هل أضاعتك منّي السنين حتى نسيتك؟

الصاحب: هل تعنيني بكلامك؟

السيدة: زوجي الحبيب (تقترب منه) تختفي عنّي كلّ هذه المدة ولا تشتاق إليّ؟!!

الصاحب: (مستغرب) أنا؟ أنا؟

السيّدة: ما بك؟ هيا كفى مزاحا. لا تتظاهر بأنّك شخص آخر... ياه! لقد نحلت...

الصاحب: (بنفس اللهجة) أنا؟!

السيدة: إنّك مرهق جدّا يا زوجي الحبيب. كفّ رجاءً عن حبّك للسفر،
واتبعني أهدك صراطا سويّا!!

الصاحب: أنا؟

السيدة: ما بالك؟ هيا لنعد إلى بيتنا. لماذا تقيم هنا مع الغرباء؟

الصاحب: أنا؟

السيدة: هيا لنذهب

الصاحب: أين أذهب معك يا سيّدة؟ إنّ كلامك لغريب. أنا لست متزوجا ولا أفكّر بذلك إطلاقا. هيا دعيني وشأني فأنا لست الذي تعنينه بكلامك.. أنا لست زوجك...

السيدة: تنكرني لأنّك لم تعد تحبّني. سأعود إلى الهند بلدي. لن أبقى معك مجدّدا لن تكون كرامتي بأبخس من حبّي لك. ها أنا ذا راحلة

الصاحب: ارحلي أو فلتذهبي إلى الجحيم. لم يبق من البلاء إلا هذا

(تخرج السيدة)

الصاحب: (بحسرة) رغم أنّك لم تشربي قهوة..

(يدخل الخادم والصديق)

الخادم: لماذا يا سيدي رحلت هذه السيدة الجميلة غاضبة؟

الصاحب: فلتغضب

الخادم: هل أغضبتها؟

الصاحب: لا تهتمّ لها، إنّها سيدة مجنونة

الخادم: مجنونة؟ أجارنا الله

الصاحب: تعال هنا أيّها الخادم ولا تنسني. أين القهوة؟

الصديق: هل كانت هي؟

الصاحب: من تعني؟

الصديق: هذه السيّدة أليست هي؟

الصاحب: هي من؟

الصديق: ألم تكن تلك التي تزوّجتها في الهند؟

الصاحب: (مستغربا) أنا تزوجت!!

الصديق: نعم. تلك المرأة التي التقيتها في الهند.

الصاحب: هل رأيتني معها؟

الصديق: كلا، لكنك حدثتني عنها. فزواجك بها كان في الماضي

الصاحب: يا لك من غبيّ، تعني تلك التي قلت عنها إنّها تزوجت رجلا يشبهنا في حبّه للسفر حين جال العالم؟

الصديق: هل رويت مجرّد قصّة لا دخل لك بها؟

الصاحب: أصمت ولا تلهني حتى يتسنّى لي محاسبة هذا الخادم.

(ثم مخاطبا الخادم) أيّها الخادم أين القهوة؟

الخادم: (مرتبكا) القهوة.. نعم القهوة...

الصديق: هيّا لا تلمه. لقد صحبني إلى المقهى

الخادم: أجل. لقد سمحت لي بذلك يا سيدي إذ قلت اذهب واحتسِ قهوة في الخارج

الصاحب: أنا قلت ذلك؟

الصديق: أوه أيّها الصاحب، يبدو أنّ هذا السفر قد أرهق أعصابك.

هيّا اذهب لترتاح

الصاحب: هل يمكن أن تفسّر لي ما يجري؟ هل أنا متزوّج؟

هل هذه السيدة هي زوجتي أم لا؟

الخادم: لعلّك يا سيدي فقدت الذاكرة؟

الصديق: يا لذكائك كيف إذن تعرّف إليك؟

الصاحب: أيّها الخادم. أنت تعرفني منذ سنوات، هل سبق أن كنت متزوّجا في حياتي السابقة قبل سفري؟

الخادم: في الحقيقة يا سيّدي إنّي لا أعرفك منذ مدّة طويلة،

فقد عرفتك منذ خمس سنوات فقط. وخلال هذه المدّة لم أر معك أيّة امرأة إلا أولئك اللواتي كنت تتعامل معهنّ لتبتاع شيئا..

أعتقد أنّه لم يكن لك في العمل غير زميلة واحدة لم تكن علاقتك بها جيّدة فيما أذكر، حسب ما رويت لي...

الصاحب: يا لرأسي

الصديق: لا تقلق. إرهاق أعصاب ليس إلا...

الصاحب: وهذه السيدة التي تدّعي أنّي زوجها، أمرهقة أعصاب هي الأخرى؟

الصديق: تلك سيدة مجنونة، لا تشغل عقلك بها بل اذهب لترتاح...

الصاحب: أرتاح؟ أرتاح؟ وكيف أرتاح وهذا الصداع برأسي؟

الصديق: انس الأمر. لم يكن سوى نبذة من الأحداث الغريبة التي تعجّ بها حياتنا...

الخادم: أرجو يا سيّدي أن تسمع لصديقك فكلامه أنفع لك.

الصاحب: بل إنّي ماضٍ إلى الخارج وإن شئتما فامضيا معي

الصديق والخادم: ماضيان..

(يخرجون)

الموجة الثانية:

(تُسمع أصوات من خارج الركح)

الصوت الأول: أريدك عارية مثل موزة أو تفاحة. أزيدك صوتا مثل سقسقة العصافير، مثل حبّة دواء مسكّنة. هل أستطيع أن أصمد؟

الصوت الثاني: ضدّ هذه الموجات لا يستطيع الفنان أن يركّز خياله في شيء ما بقدر ما.. هل يمكن أن يقيم أحد هنا؟ هل لهذا الفنّ أن يخلد أو يدوم ذكره؟ الأمر نسبيّ، نسبيّ...

الصوت الثالث: من سيّد هذا البيت أيّها الكرسيّ؟

الكرسيّ: أيّها الطبيب فريديريك، لماذا تسألني أنا بعيني؟ اسأل الخزانة الحائطيّة فهي أقدم ولاشكّ أنّها تعرف الحقيقة

الطبيب: حسنا أيّتها الخزانة الحائطيّة من سيّد هذا البيت؟

الخزانة الحائطية: هذا معروف. إنّه السيّد الذي مضى إلى الخارج قبل قليل

الطبيب: لماذا تصدعين بما أعرف؟ ما أعنيه هو من أول مالك لهذا البيت؟

الخزانة الحائطيّة: أول مالك لهذا البيت رجل بناني فيما بنى قبل مائة عام، لكنّه لم يسكنه أبدا إذ مات قبل أن يكتمل البناء

الطبيب: من إذن مالكه؟

الخزانة: رجل غريب اشتراه ولم يقم فيه عدا شهر واحد ثم ارتحل..

الطبيب: اشتراه رجل آخر وهو الذي مضى إلى الخارج قبل حين.

الكرسيّ: هذا صحيح، وهو عين الرجل الذي اشتراني في جملة الأثاث

الصوت الثاني: ولكن النظريّة تقول قبل خمس مائة عام من الآن أنّ الأرض تدور...

الصوت الأول: هناك حركة تطوّر رهيبة، الثمار كثيرة والأتعاب جليلة والحب في قلوب جميع الناس والتكنولوجيا تسهّل الحياة، والفضيلة في كلّ مكان، وكلّ شيء معلّب. هل تستطيع أن أقاوم؟

الصوت الثاني: هذا عين ما حصل. في الواقع جرى في مكان ما من العالم شيء ما

أثار اهتمام الجميع نوعا ما وهو ما يبرّر التفاف العالم حول نفسه.

هل تستطيع أن تقاوم؟

(تُسمع قرقعة الباب فتختفي الأصوات والضوضاء،

ويظهر رجل عليه لباس أهل الهند)

الرجل الغريب: تعبت كثيرا لكن لا بأس، ركبت البحار لكن لا بأس، رأيت عجائب البلدان الغريبة حتى ارتعبت ودهشت لكن لا بأس، رأيت أناسا من كلّ مكان واستمتعت بسفر لذيذ شيّق... لم نستمتع كثيرا لكن لا بأس.

جلبت هدايا كثيرة سُرق بعضها وضاع بعضها ورميت بالباقي في البحر غضبا ثم ندمت بعد ذلك لكن لا بأس... لكن أين زوجتي؟

أظنّها لم تدر بموعد مجيئي، أنا منزعج لكن لا بأس. قفل الباب لم يتغيّر واحتفظت بالمفتاح لعشرين عاما خلت ثم عدت فوجدت كلّ شيء كما كان!! ليس كما كان تماما لكن لا بأس. تغيّر بعض أثاث البيت،

لا شكّ أنّ زوجتي فعلت هذا.. تغيّر النظام أيضا لكن لا بأس لابأس دائما أقول لا بأس حتى في بلاد السند والهند لا نقول غير لا بأس...

(تسمع قرقعة الباب من جديد)

الرجل الغريب: لا شكّ أنّها زوجتي. لا بأس أن تأتي وإن كنت سأجد صعوبة في استقبالها نظرا لأنّني متعب لكن لا بأس...

(يظهر الصاحب والصديق يتبعهما الخادم)

الصاحب: كانت أمسية رائعة!

الخادم: بالفعل وإن كنت لا أحبّ وجبات المطاعم

الصاحب: إذن لا أصحبك لتناولها معي مجدّدا

الخادم: ولكنّي يا سيدي أستمتع بصحبتك حيث لا أستشعر أنّي لست شخصا وضيعا وعليه فإنّه لا يزعجني تناول الوجبات معك...

الصديق: يا لك من منافق أيّها الخادم! للتوّ فقط قلت إنّك لا تحبّ وجبات المطاعم

الخادم: لا أعني ما فهمت

الصاحب: أصمتا وانظرا...

(الصديق والخادم يتبادلان نظرات الاستغراب والدهشة)

الصاحب: رجل غريب اقتحم بيتي واتّكأ على سريري

الخادم: يا للبجاحة! يا للوقاحة!!

الصاحب: الوقح هو أنت.. كيف استطاع هدا الرجل دخول بيتي؟

الصديق: لا شكّ أنّك نسيت الباب مفتوحا أيّها الخادم

الخادم: نعم لا شكّ أنّكما نسيتماه..

(يتقدّمون بحذر نحو الرجل الغريب)

الرجل الغريب: مرحبا بالضيوف. أرحّب بكم في منزلي، وإن كنت أرى أنّه ليس من اللائق أن تدخلوا دون استئذان

الشخوص: (باستغراب) دون استئذان؟!

الرجل الغريب: أعني أنّ للبيت حرمة ولأصحابه خصوصيّة

الشخوص: (بنفس اللهجة) خصوصيّة

الرجل الغريب: لماذا تستغربون؟ هذه أشياء تعارف عليها الناس

الشخوص: الناس؟

الرجل الغريب: أوه لابدّ أنّكم متعبون أم تراكم مخمورون؟ استريحوا ريثما أعدّ لحضراتكم قهوة. بي شوق لأهل البلد

الصاحب: البلد.. القهوة

الرجل الغريب: سيكون كلّ شيء على ما يرام. أنا ماض، لا تنزعجوا لأجل غيابي فأنا عمّا قريب آت.

الشخوص: (بصوت واحد) آت؟!

(يهمّ الغريب بالتقدّم فيمسك الصاحب بتلابيب قميصه)

الصاحب: انتظر هنا. كيف دخلت؟

الغريب: من الباب

الصاحب: وكيف فتحته؟

الغريب: بالمفتاح

الصاحب: أيّ مفتاح؟

الغريب: مفتاح منزلي

الصاحب: منزلك؟

الغريب: طبعا منزلي. هل تشكّك في هذا؟ صحيح أنّي لم أقم فيه عدا شهر واحد، لكنّه يظلّ منزلي على كلّ حال...

الصاحب: ملكك؟!!

الغريب: أوه يا سيدي، يبدو أنّ حالتك سيّئة للغاية.. اشرب قهوة وسترى كيف تتحسّن أحوالك!!

الخادم: لكن أيّها الغريب، هذا البيت ملك لسيّدي منذ عشر سنوات

الغريب: ملكه؟ دعابة، مزحة لطيفة. لكن في غير محلّها

الصاحب: هلّا غادرتنا بريح طيّبة أيها الغريب

الغريب: لاشكّ أنّك تمزح. لذلك لن أغضب منك بل سأعدّ قهوة

الصديق: عن أيّ قهوة تتحدّث؟ تقتحم بيت السيّد وتلهو فيه ثم تتبجّح بما لا نفهم؟ ألم تسمع كلام السيّد؟ غادرنا بريح طيّبة...

الغريب: أوه! هذا لا يحتمل. هل بكم لوثة أيّها السادة؟ من الذي اقتحم منزل الآخر وتبجّح؟ أنا أم أنتم؟

الصديق: مازلت تصرّ على أنّه منزلك!!

الغريب: أصرّ لأنّي متأكّد أنّه ملكي منذ عشرين عاما..

الصاحب: وأنا اشتريته منذ عشر سنين

الغريب: ممّن اشتريته؟

الصاحب: من السيدة التي كانت تملكه

الغريب: أتكون زوجتي؟

الصاحب: هذا لا يعنينا، كلّ ما يعنينا أيّها الغريب هو أن تغادرنا وتكفّ عن إزعاجنا الآن

الغريب: هل تعرف هذه السيّدة؟ هل التقيت بها؟

الصاحب: هذا لا يعنيك في شيء. أرجو أن تغادرنا.. غادرنا قبل أن أفقد صوابي

الخادم: (يأخذ بيد الغريب) تعال معي أيّها السيد، لقد اشترى سيّدي هذا البيت من سيدة لكنّه لم يلتقيها مطلقا لأنّها وكّلت لأجله محاميا والآن، نحو الباب من فضلك.. هيا قبل أن يفقد سيدي صوابه إنّه مخمور وأهوج..

(يدفعه إلى الخارج ويغلق الباب خلفه)

الغريب: (مردّدا من الخارج) هاي أيّها السادة أدباشي من فضلكم، أدباشي على الأقلّ...

تتلاشى الإضاءة ببطء

الموجة الثالثة:

(الصاحب والصديق متهاويان على الكرسيّ، تغلب على ملامحهما دهشة.

والخادم يجلس قبالتهما ضاحكا ضحكا هستيريّا)

الصاحب: تضحك أيّها الخادم، تضحك!!

الصديق: أنا مرتاب في أمره منذ البدء.. على شكّ أنّه على علم بكلّ شيء

(الخادم لا يكفّ عن الضحك الهستيريّ)

الصديق: بدأت أتأكّد، لا شكّ أنّك تعرف كلّ شيء بل إنّي لا أستبعد أن تكون شريكا في مؤامرة.

الصاحب: هل هذا الكلام صحيح أيّها الخادم؟

(الخادم لا يردّ، بل يستمرّ في الضحك الهستيريّ)

الصديق: إذن لا شكّ أنّه صحيح

الصاحب: الويل لك إن كان صحيحا

الخادم: (مغالبا ضحكه) حسبك أيّها السيّد إنّما أنا أضحك لعجب ما رأيت

الصاحب: لا يمكن أن أتخيّل ما يحدث حتى لو كنت داخل مسرحية يكتبها رجل مخبول، فما بالك إن كان ما يحدث واقعا!!

الخادم: (ساخرا) واقع مرّ (يضحك)

الصديق: ويلك أيّها الخادم إنّك تهزئ منّا

الصاحب: أتتّخذنا هزوا أيها الخادم؟

الخادم: حاشى لله أن أكون من الجاهلين. لكن الأمر مضحك

الصاحب: هذا يكفي أيها الخادم. لتفكّر معنا أو فلتصمت

الخادم: هل ستطردني مثلما فعلت مع صاحب البيت؟

الصاحب: صاحب البيت؟!

الخادم: أعني إدّعاءه أنّه مالك البيت.. (يغلبه ضحكه)

الصديق: (متقدّما نحوه وآخذا بيده) أيها الخادم. أدرك أنّك رجل طيب، أنت خادم وفيّ

بشهادة صاحب البيت هذا.. لكن هذا لا يمنع أن تصدر عنك هفوة.. فما أنت إلا إنسان يخطأ ويصيب. وعليه اعترف بخيانتك وخستك في غيابنا وسنسامحك..

الخادم: تسامحاني من أجل ماذا يا سيدي؟

الصديق: من أجل خطئك في غيابنا!!

الخادم: لكني لم أخطأ يا سيدي

الصديق: بلى أخطأت. يجب أن تعترف أنّك المسؤول عن هذه اللخبطة

الخادم: لست مسؤولا

الصديق: بل مسؤول

الخادم: لست مسؤولا

الصديق: مسؤول

الخادم: غير مسؤول

الصديق: بل مسؤول

الخادم: قلت غير مسؤول

الصديق: مسؤول

الصاحب: هذا يكفي أيّها الأحمقان

الخادم والصديق: نحن أحمقان!!

الصاحب: أصمتا الآن وفكّرا معي بجديّة في هذا الأمر

الخادم: أيّ أمر يا سيّدي؟

الصاحب: أمر هذا البلاء الذي نزل...

الخادم: لا تزعج نفسك، إنّه مجنون.. رجل مجنون وحسب

الصاحب: والمرأة؟

الخادم: أيّة امرأة؟

الصاحب: المرأة التي ادّعت أنّي زوجها. أمجنونة هي الأخرى؟

الخادم: وما تراها تكون؟

الصاحب: فكّر بجديّة أيّها الخادم

الخادم: في الواقع يا سيدي إنّي لا أريد أن أفكّر بجديّة في هذا الأمر

ولا في غيره من الأمور، لأنّي كلّما فكرت جيّدا أسبّب الإزعاج!!

الصديق: إنّي لمتأكّد الآن أيّها الخادم أنّك تخفي بعض الأمور عنّا

الخادم: أنا... في الواقع أيّها السيّدان... كيف أقول؟

لقد حدثت أمور غريبة في غيابكما

الصديق: آهاه! ألم أقلك يا صاحبي؟ (ثم مخاطبا الخادم) اعترف الآن بخيانتك

الخادم: كفّ عن اتهامي أيّها المتصابي ولتسمع لي

الصديق: حسنا سأسمع لك ما دمت ستعترف...

الخادم: سأعترف بحوادث حدثت في غيابكما...

الصديق: شاركت فيها أيّها الخادم؟

الخادم: لماذا تتحامل عليّ هكذا أيها السيد؟ إنّما أنا رجل أمين،

وما أنت إلا متحامل أحمق!!

الصديق: أنا أحمق!!

الصاحب: كفّا عن هذا ولتفصح أيها الخادم عمّا جرى في غيابنا

الخادم: في الواقع يا سيدي.. آه كيف أقول...

لقد حدث أن سمعت لليالٍ أصوات غريبة

الصاحب: أصوات غريبة؟!

الخادم: نعم أصوات مجهولة تصدر عن هذا المكان كأنّها أشباح أو تهيؤات

الصاحب: لتصفها الآن

الخادم: هي أصوات كالصدى.. تسمعها كأنّها تصدر عنك وما هي بصادرة عنك.

وترى أنّها منك وما هي منك.. تراها قريبة وما هي بقريبة. تراها حاضرة

وما هي بحاضرة!!

الصاحب: يا لعجب ما أسمع!!

الصديق: إنه مخادع. يصرف عقلك لينجو بفعلته. لا تصدّق أبدا هذا الماكر

الخادم: أنا أقول الحقيقة ولتقل أنت ما تشاء

الصاحب: أكمل أيها الخادم

الخادم: أسمع فيما أسمع أنّ كرسيّا يتكلّم

الصديق: كرسيّ يتكلّم؟! (يضحك ساخرا)

الصاحب: أصمت أنت

الخادم: وثمة أصوات من الأزمنة الغابرة...

الصاحب: (مستغربا) الأزمنة الغابرة!!

الخادم: نعم. يتحدّثون كما نتحدّث، ويروون أحيانا شتاتا من كلام غير مفهوم...

الصاحب: أمتأكّد أنت أنّك لم تكن سكرانا أيها الخادم؟

الخادم: طبعا متأكّد من أنّ ما سمعته كان على وجه الحقيقة،

فلست نائما ولا متوهما ولا متخيلا

(الصاحب ذاهل لحظة ثم يجمع أدباشه في حقيبة)

الصديق: ما تصنع؟

الصاحب: يجب أن أرحل فورا. تعلم أنّي أخاف الأشباح

الصديق: كفّ عن هذا، أتصدّق هذا الأبله

الخادم: ولمَ لا يصدّقني؟

الصديق: ما أنت إلا كاذب

الخادم: أنا كاذب!!

الصاحب: أصمتا وساعداني. لن أزيد هنا دقيقة واحدة

الصديق: ليس لك في المدينة مكان غير هذا. ابق في منزلك وكفى لهوا.

لعنك الله أيها الخادم.

الصاحب: لن أزيد هنا دقيقة حتى لو أقمت في الشارع.

(يحمل حقيبة ويتقدم نحو الباب أمام دهشة الصديق والخادم،
يفتح الباب ثم يتراجع إلى الوراء في مقابل تقدّم امرأة)

المرأة: زوجي الحبيب. كنت واثقة أنك عائد إليّ. ها أنت تجمع أدباشك وتعود

الخادم: مرحبا سيدتي

المرأة: أبادلك التحية سيدي

الصديق: من تكونين أيتها السيدة؟

المرأة: أنا زوجة هذا السيد العبقري..

الصديق: آه نعم. تلك التي تزوجها في الهند. أنت هي إذن. تشرفنا بمعرفتك.

المرأة: شكرا

الصاحب: تذكر أني تزوجتها بالهند، ولا أذكر أنا هذا... يا ربي ما الذي يجري معي،
كم تخنقني هذه الحياة العجيبة

المرأة: بالله عليك لا تقل هذا. إنّه ليوجع قلبي أن تضيق بالحياة.
كيف تضيق بحياتك وأنا فيها؟

الصاحب: تلك هي المشكلة التي أرّقتني...

المرأة: لماذا أصبحت جارحا هكذا. أحبك وتكرهني رغم أنّك كنت تقسم
أني وردة مزروعة بنياط قلبك وشمعة تضيء ظلمة روحك...
(تتباكى بطريقة مضحكة)

الصديق: (متقدّما نحوها) كفّي عن هذا رجاءً. إنّه لا يعني الإساءة.. كيف أقول لك...
إنّ زوجك فاقد للذاكرة!!

المرأة: يا أسفي على جذوة روحي! لماذا لم تخبرني أيّها الزوج الحبيب
حتى أفعل شيئا لمساعدتك؟ أسفي على نفسي...
لقد ظلمتك وظننت أنّك ما عدت تحبّني بينما أنت في الحقيقة مريض!!

الخادم: (مخاطبا الصديق كمن يهمس) لماذا تقول عن سيدي مثل هذا الكلام؟

الصديق: هل لك مخرج أفضل منه لهذا المأزق؟

الخادم: في الحقيقة لا!!

الصديق: إذن أصمت!!

(ثم بعد لحظة)

الصديق: أيّها الخادم، ما رأيك أن نغادر، كي يستمتع سيّدك بوقته مع زوجته.

الخادم: زوجته؟!

الصديق: فكرة رائعة! أليس كذلك؟

الخادم: زوجته؟!

الصديق: هيّا بنا إذن (يجذبه من يده ويتبعه الخادم ببلاهة)

الصاحب: هاي! أين تمضيان وتتركاني وحيدا مع امرأة غريبة؟

الصديق: نتركك لمصيرك. وداعا

الصاحب: وداعا؟!

المرأة: أنا امرأة غريبة! لمَ تقول ذلك؟ أنا زوجتك. يجب أن تقتنع بهذا!!

الصاحب: لا أريد أن أقتنع بشيء. أريد فقط الهروب من هذا الجو العبثيّ...

لكأنّها مسرحية غريبة يكتبها مؤلف مخبول!!

المرأة: لا تقل هذا. فكّر في أنّك ستشفى وتعود إلى حبي من جديد...

الصاحب: من جديد؟! يا لغرابة ما أسمع!!

المرأة: زوجي. ما قصة هذا البيت؟ أليس له صاحب؟

الصاحب: أنا هو صاحبه.

المرأة: غريب! لم تحدّثني عنه من قبل

الصاحب: لأنّي لم ألتقيك قبلا!!

المرأة: إنّما تقول ذلك لأنّك مريض

الصاحب: أجل. مريض إلى حدّ الضجر، إلى حدّ الإغماء،

إلى حدّ الصداع من هذه الحياة التي يفرح بها الناس ذاتها

المرأة: رغم هذا الهمّ الذي تعانيه، أقول لك لا تقلق ستشفى!!

الصاحب: آه! لم أعد أحتمل... متى تنتهي هذه المسرحية! يكاد رأسي ينفجر... لماذا لم يحلّ هذا البلاء بالخادم؟ أو بأيّ شخص في المسرحية غيري؟ تأبى الحياة إلّا أن ترهقني أنا، أنا بعيني... تراني سأنعم في النهاية بمخرج كما ينعم بذلك أبطال المسرحيات والقصص!!

المرأة: يا لزوجي المسكين! يهذي كالمجنون!! لا شكّ أنّك محموم...

(الصاحب تائه ذاهل لحظة، ثم يتقدّم سريعا نحو الباب)

الزوجة: إلى أين تمضي؟ تهرب... لا بأس، لا بدّ أن تعود، أثق بهذا...

(يسمع صرير الباب إذ يفتحه الصاحب، ثم يُرى الصاحب متراجعا إلى الوراء في مقابل تقدّم الغريب)

الصاحب: ما الذي أعادك إليّ أنت الآخر؟

الغريب: أردت أن أعتذر لك يا سيدي عمّا حصل، فلقد تأكّدت من محامي زوجتي أنّه باعك المنزل فعلا. تصوّر؛ ما يزال مكتبه بعين المكان ذاته منذ أكثر من عشرين عاما خلت... لم أرد أن أخسر منزلي لكن لا بأس فكلّ شيء من أمر الحياة...

الصاحب: الحمد لله أنّك اقتنعت أخيرا بأنّ منزلك بيع. وعليه فقد فقدت حقّك فيه

الغريب: للأسف كلامك صحيح. لكني عدت من أجل أدباشي آخذها وأرحل

الصاحب: قبل ذلك، هل تسمع لي؟ ما رأيك لو عرضت عليك شراء البيت؟

الغريب: أنا أشتريه؟ هذا حلم

المرأة: ماذا؟ تبيعه دون أن تستأذنني؟ أنا لن أفرّط في هذا البيت

(الغريب ينظر المرأة في استغراب ودهشة)

المرأة: (مخاطبة الغريب) لماذا تطيل التحديق بي أيّها السيد؟

الغريب: مستحيل! زوجتي هنا؟ كيف لم أنتبه إليك قبلا؟

المرأة: كيف تسمح لنفسك بترديد هذا الكلام السفيه أمام زوجي

الغريب: (مخاطبا الصاحب) هل هي زوجتك فعلا أيها السيد؟

الصاحب: لا، إنّها زوجتك هيّا خذها وانصرف، ولنتكلّم لاحقا في مسألة البيت.

المرأة: يا لك من رجل عديم الرجولة، جاحد وسافل...

تتبرأ من زوجتك لتسندها إلى رجل غريب!!

الصاحب: انتهى وقت اللهو يا سيدة. ما أنا بزوج ولا أب..

أنا رجل محبّ للسفر فحسب

المرأة: نعم أعرف أنّك محبّ للسفر لأنّنا تزوجنا بعد أن جمعنا السفر والحبّ

الصاحب: لم يجمعني السفر بأيّة امرأة

الغريب: (مخاطبا المرأة) أنا الذي جمعني السفر بك يا زوجتي. لماذا تنسين؟

هيا عودي إليّ وأعدك بأن لا أسافر مجدّدا، وأن ألازمك كملازمة الدابة

للفلاح، والحزينة للنواح!!

المرأة: لكنّني لا أعرفك أيّها السيد، فلماذا تصرّ أنّني زوجتك؟

الصاحب: أهاه! ولماذا تصرين أنت أنّني زوجك؟

المرأة: لأنّك زوجي. هل من السهل أن أتوه عنك أو أنساك؟

الغريب: وأنا أيضا أعرف جيّدا أنّك زوجتي، هل من السهل أن أتوه عنك أو أنساك؟!

يا لجحودك! تبيعين البيت ثم تنكرينني؟ من أجل ماذا كلّ هذا؟

المرأة: عن أيّ بيت تتحدّث؟

الغريب: بيتنا هذا. لن أغفر لك هذا الخطأ أبدا مهما كانت الأسباب

المرأة: فلتغفر أو فلتذهب إلى الجحيم! ما بال هذا العالم يصير مجنونا؟

الغريب: قد أكون مجنونا ولكني لست جاحدا مثلك

المرأة: أنا جاحدة أيّها المخبول

الغريب: بل أنت المخبولة

المرأة: بل أنت

الغريب: أنت

المرأة: أنت

الغريب: بل أنت

الصاحب: (باستجداء) لتسمعا لي... لتسمعا لي...

(يصمتان وينتبهان له)

الصاحب: أيها السيدان لنفكّر في هذا الأمر بعقلانيّة.

أنت أيتها المرأة تصرين أنّي زوجك، وما أنا بزوجك.

وهذا الرجل يدّعي أنّك زوجته، وما أنت بزوجته...

ولست أرى أنّ بأحد منّا لوثة بعقله.

المرأة: يبدو كلامك صحيحا أيّها السيّد، فما تفسير ذلك يا سيدي؟

الصاحب: التفسير سهل... لا بدّ أن زوجك هذا يشبهني كثيرا حتى ظننت أني هو

المرأة: يشبهك؟!

الصاحب: ولا شكّ أيها الغريب أنّ هذه المرأة تشبه زوجتك إلى درجة التطابق

حتى التبس عليك الأمر فظننتها هي

الغريب: تشبهها؟

الصاحب: نعم، هذا كلّ ما في الأمر

الغريب: يا لغرابة ما أسمع!!

المرأة: هل يمكن أن تفاجئنا الحياة بمثل هذه الأشياء المذهلة؟

الصاحب: طبعا، إنّ الحياة أوسع وأغرب مما تتوقعان..

الغريب: يبدو كلامك صادقا أيّها السيد. أنت رجل محقّ لذلك ها أنا أعود من حيث

أتيت لأبحث عن زوجتي أو لأعد إلى السفر أجمل ما أحبّ...

احتراماتي أيّها السيدان (يغادر الركح)

الصاحب: وداعا أيها الغريب

المرأة: أيها السيد، إنّك لرجل حكيم فسّرت لنا ما لخبط من أمور.

أعتذر عن الإزعاج، ها أنا منصرفة لأبحث عن زوجي أو لأعد إلى الهند

بلدي

الصاحب: وداعا أيتها السيدة الجميلة.. (يلوح بيده مودّعا بينما تغادر المرأة الركح)

آه! أخيرا انتهت كلّ المتاعب. يبدو أنّي سأنعم بنوم هادئ هانئ

بعد كلّ هذا الإرهاق. الحمد لله يبدو أني نعمت أخيرا بمخرج على طريقة

أبطال المسرح. والآن لأنم هكذا بلباسي الرسميّ وحذائي فأنا متعب حقّا

ولا يتسنّى لي عمل أيّ شيء عدا الاستلقاء... (وهو يتقدّم بطريقة عسكرية)

والآن إلى السرير (يستلقى على سريره)

(تعود الأصوات الغريبة إلى الظهور)

الصوت الأول: من صاحب هذا البيت أيّها الكرسيّ

(تظهر على الصاحب علامات الخوف)

الصاحب: أيها الخادم.. أيها الغريب.. هل رحل الجميع؟

الصوت الثاني: لكن النظرية تقول قبل خمس مائة عام من الآن أنّ الأرض تدور

(تزداد علامات الخوف على وجه الصاحب وجسده)

الصوت الثالث: وكلّ شيء معلّب. هل تستطيع أن تقاوم؟

الصاحب: لا أستطيع أن أقاوم أيّ شيء.. ها أنا راحل وتارك لكم البيت بما فيه.

لينعم بسكناه ذلك الغريب أو الخادم أو أيّ شخص يستطيع أن يقاوم...

ما دمت لا أنعم بمخرج مسرحيّ لطيف كالأبطال فلأسافر بعيدا.

(يخرج سريعا)

الصوت الرابع: افتحوا الأبواب لاستقبال الإمبراطور العاري...

(تصفيق وضحك في الكواليس)

تتلاشى الإضاءة

2007/05/01